الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

فـلاسـفـة الأنـــوار والإســـلام

يجمع مؤرخو الفلسفة الغربية الحديثة على موضعة فترة ما يعرف بـ «فلسفة الأنوار» في حدود القرن الثامن عشر، وبشكل أدق في المسافة الزمنية الممتدة ما بين ١٦٧٠ وقيام الثورة الفرنسية في ١٧٨٩، التي يصطلحون على اعتبارها «بنت» «فلسفة الأنوار».
كما يتفقون على ان فرنسا وألمانيا، مع إعطاء الأولى مكانة اكبر نسبياً، هما الوطن المشترك لولادة وازدهار تلك الفلسفة. فبالرغم من ان افكارها او بعضها وجدت اصداء وحضوراً في عموم أوروبا تلك، من الجزر البريطانية الى روسيا القيصرية، بدرجات متباينة من الاصالة والقوة، بيد ان فرنسا وألمانيا، وبشكل أضأل انجلترا، كانت نطاقها الأكثر خصباً وحيوية على صعيد ثراء العطاء النظري كما على صعيد التأثيرات الفعلية.

حسين الهنداوي

(١-٢)

ابن سينا

ابن رشد

شارلمان ملك الافرنج

وتتمثل « «فلسفة الأنوار» » جوهرياً بتيار فكري جديد ومتمرد، تملكته كلياً نزعة عقلية ونقدية كونية انسانية، اخذت لديه مكانة معيار مطلق الصدق ووحيد. الامر الذي قاده الى اعلان تبنّيه الجريء لموضوعة ان الفكر ينبغي ان يكون حراً مهما كانت النتائج. من هنا ولدت حتمية تصادمه العنيف احياناً مع سلطة الكنيسة في مجال المعرفة والاخلاق، ومع استبداد تحالف النبالة- الاقطاع في مجال السياسة والحقوق. فلقد شُغفت حركة الانوار بمغامرة السعي لاستئصال أي عقيدة دوغمائية وأيّ يقين قِيَمي موروث مهما كانت الشرعية او المصداقية التي تستندان إليها والشكل التاريخي الذي يتلبسانه، كما لو ان هذا الإستئصال بدا، في المحصلة الاخيرة، الطريق الوحيد لتحرير الإنسان من الأحكام الجاهزة والقناعات الثابتة والقيم الاعتباطية والعبودية الفكرية والسياسية بشكل عام، و«الطريق الوحيد نحو المجد الحقيقي» كما قال ارنست كاسيرر.

ومع ذلك فان حركة الانوار لم تطمح ابداً ان تكون مجرد حركة هدّامة او متمردة. انما ارادت ايضاً، بل خصوصاً، ان تقيم على انقاض ما تهدمه، صرحاً جديداً من المفاهيم والقيم الواقعية والسامية في آن، معتقدة ان الانسان بانعتاقه من اسر ومحدودية الافكار الجامدة الموروثة، سينطلق نحو امتلاك وعي انساني وكوني حقاً.

بلاشك ان انبثاق «فلسفة الانوار» اقترن تاريخياً وجغرافياً بـولادة البرجوازية الليبرالية كقوة اجتماعية جديدة وصاعدة عبرت هذه الفلسفة الى هذا الحد او ذاك عن طموحاتها الذاتية، المحلية والعالمية، التي ما كان لها ان تتحقق دونما تحرير المؤسسات والرؤوس من الاغلال التقليدية التي صمدت لقرون طويلة على شكل يقائن مطلقة، ومقدسة احياناً، الامر الذي فرض تبعاً لذلك حصول ذلك الحدث السياسي الكبير المتجسد بالثورة البرجوازية الفرنسية. غير انه من التعسف بالمقابل، تحجيم «فلسفة الانوار» لتصبح مجرد حركة اجتماعية او اقتصادية او محض غطاء ايديولوجي لهذه الحركة او تلك، مهما كانت عظيمة الاهمية من وجهة نظر التاريخ الفعلي. انما لابد كذلك من الاعتراف ببعدها الجوهري الآخر، الابستمولوجي، الذي يقف وراء حصول ذلك الحدث الأعظم اهميةً من الثورة الفرنسية، بما لا يقاس، والمتمثل في احلال قطيعة جذرية داخل الفكر الاوروبي بين «القديم» و«الحديث» على صعيد القيم المعرفية.

فعبر إحلالها العقل محل الوحي، والاستفهام محل الايمان، والحرية والتسامح محل العبودية والتعصب، مثلت «فلسفة الانوار» ثورة كبرى ضد مزاعم الحق المقدس، الالهي او الوضعي، في تجاوز سيادة العقل او في تكبيل نزوعه نحو الحرية والكونية والحقيقة. ثورة لولا انتصارها لما امكن لأوروبا ان تنتقل من عهد المسلمات الراكدة الى عهدها كـ «عالم حديث».

ان تطور الموقف الغربي من الثقافات الانسانية الاخرى يندرج في هذا الاطار كلياً برأينا. فبفضل الروحية الجديدة التي اشاعتها «فلسفة الأنوار»، وبفضلها اساساً، بدأ المفكر الاوروبي (الفرنسي والالماني خاصة)، يشعر بالتحرر من الموروث اللاهوتي- السياسي- المعرفي المتعلق بالحضارات الاخرى لاسيما الشرقية منها. ففي القرن الثامن عشر، «كانت شعوب الشرق هي من يجتذب الاهتمام مطالبة لثقافاتها الدينية بحق بالمساواة. فطوال عصر الانوار كان الاهتمام بالشرق والسعي للدفاع عن كامل حقوقه في اخذ مكانة مركزية لائقة في التاريخ الكوني، يقترنان دائماً بسجال نقدي عنيف ضد المعتقدات المسيحية وتبعياتها وانعكاساتها على القيم الاخلاقية والمفاهيم السياسية والاداب والفنون والعلوم، الى الحد الذي اعلن فيه مفكرون غربيون عديدون اصرارهم الشديد على ضرورة شطب مصداقية مجمل الأحداث التاريخية وتاريخه العام.

بيد ان هناك سبباً آخر لعب دوراً لا يقل اهمية في دفع مفكري الانوار الى اختيار الاسلام اداة في صراعهم ضد الكنيسة، وهو متانة وعراقة التراث الفكري- اللاهوتي الذي دأبت الاخيرة على ترويجه ضد الاسلام. لذا وقبل معرفة حجم وابعاد جهد الانوار لتدمير ذلك التراث لا مناص من تكوين فكرة عامة عن عناصره الجوهرية والمحطات الكبرى في صيرورته، مركزين هنا على مضمونه الفكري وحده.

وباختصار شديد، لئن كان المنظور المسيحي التقليدي حول الديانة اليهودية قد تأسس منذ البدء على عدد من النصوص التي وردت في «العهد الجديد» من «الكتاب المقدس»، فان الامر يختلف كلياً فيما يتعلق بمنظورها حول الاسلام. وذلك بداهة لأن الاخير لم يدخل العالم الا بعد ما ينيف على ستة قرون بعد انتقال المسيح منه، وبعد ثلاثة قرون من انتصار ديانته بشكل ساحق على الوثنية الاغريقية- الرومانية وتتويجها الظافر ديانة رسمية وحيدة للامبراطورية الرومانية. اذن، ليس في النصوص المقدسة للاناجيل انما في كتابات المفكرين واللاهوتيين لما بعد القرن السادس، ينبغي البحث عن جنين التصورات المسيحية اللاحقة حول ظاهرة الاسلام كدين جديد. فلقد كان ينبغي مضيّ زمن طويل كي تتبلور اولى ردود الفعل الفكرية في هذا الصدد. وساهم في ذلك التريث، او العجز برأينا عدد من العوامل الموضوعية والتاريخية المهمة التي اقترنت بتلك الآونة من القرن السابع الميلادي.

يتمثل العامل الاول في كونه شبه جزيرة العرب، مهبط الديانة الجديدة، لم تكن تتمتع بأهمية استراتيجية تذكر في نظر ساسة الامبراطورية الرومانية، كما لم تكن تمثل اغراء آنياً في حسابات زعماء الكنيسة. انما بدت في احسن الاحوال مجرد قطعة صحراء نائية وعرة تفصل بين عالمها وبين عالم عدوها المنافس، والقوي بعد، المتجسد بالامبراطورية الساسانية. صحيح جداً ان الرومان لم يتخلوا نهائياً عن هممهم القديمة بوضع المناطق الجنوبية والغربية من جزيرة العرب تحت سيطرتهم المباشرة بهدف ضمان سلامة طرق تجارتهم مع الهند («طريق الحرير والعطور»)، وتعزيز هيمنتهم على البحر الاحمر وسواحله الافريقية التابعة لهم من مصر الى الحبشة، لكن انشغالهم في الحروب ضد الساسانيين من جهة الشرق وضد القبائل الوثنية الجرمانية من جهة الشمال، ارغمهم على تأجيل ذلك الطموح بانتظار فرصة افضل، مدركين سلفاً ربما الصعوبات والاخطار التي واجهت الاسكندر المقدوني امام القبائل العربية. لذلك لم يجد الرومان في السابق حاجة لإرسال أعداد مهمة من قواتهم لترابط في المنطقة مقتصرين على قوات صغيرة لحماية طرق التجارة فيها.

نستنتج اذن، ومثلما هو الحال بالنسبة للامبراطورية الساسانية، تصرفت الامبراطورية الرومانية بلا ادنى اهتمام عسكري ازاء العرب. كما ان الحقيقة الفعلية آنذاك تشير إلى ان تلك الصحراء المنكفئة والقاسية حتى على نفسها والمعزولة نسبياً عن العالم الخارجي المحيط بها، كانت مواطن قبائل بدوية كثيرة العدد تمتلك انماطاً بسيطة من الحضارة وعقيدة وثنية شبه بدائية، وتعيش تاريخياً من التدمير الذاتي المتواصل في حروب محلية ونزاعات طاحنة لا تنتهي فيما بينها، وغزوات لا تبقي على شيء، وكل ذلك من اجل مجرد العيش لا اكثر، الى درجة لم تجد معها الامبراطوريتان الرومانية والساسانية حتى ضرورة معرفة ما يجري هناك من تطورات واحداث مقتصرتين في معرفة العرب وجزيرتهم على القليل من النتف الغامضة والمتضاربة التي سجلها المؤرخون القدامى كهيرودوت وسواه.

لكن هذا، وحتى بعد ظهور الاسلام بسنوات عدة وانتشاره السريع في تلك الانحاء، لا يوجد ما يشير الى تكوّن شعور لديهما بالقلق ازاء العرب. وذلك، كما يبدو، لأن لا أحد في الامبراطوريتين كان يتصور امكانية نجاح زعيم محلي ما بتوحيد قبائل على تلك الحالة من التناحر التقليدي، ناهيك عن تحويلها الى قوة ضاربة قد تخرج لتهدد وجود اعظم قوتين عسكريتين في العالم القديم.

العامل الثاني هو ان جزيرة العرب كانت تبدو دائماً على هيئة معضلة عويصة في نظر المسيحية الرومانية كمؤسسة روحية وككقوة سياسية على حد سواء. بلاشك ان زعماء الكنيسة سعوا مبكراً الى اجتذاب العرب الى دينهم ونجحوا الى درجة كبيرة في ذلك كما يعتقد، حيث عرفت الديانة المسيحية انتشاراً واسعاً بين عدد من القبائل العربية الكبيرة ومنذ القرن الثالث الميلادي. غير ان هذا النجاح لم يكن نهائياً. انما وبعد ان كانوا مصدر قوة لها، سرعان ما انقلب العرب ليصبحوا مصدراً للقلق والمشاكل، منذ ان اصبحت المسيحية، الى حد كبير، اطاراً روحياً خاصاً بالعالم الحضاري الروماني- الاغريقي وحده. فتماهي المسيحية مع الاخير ادى في الواقع، تدريجياً، الى ابتعادها ثقافياً ولاهوتياً ايضاً عن عالمها الاول الشرقي، ثم الى القطيعة والتناقض معه اثر قيامها في ٤١٣ بإصدار مرسوم يدين كنيسة الشرق المسماة بـ«النسطورية»، متهمة اياها بالانحراف الديني والهرطقة وغيرها من التهم المبشرة او المرفقة بموجة واسعة من الاضطهاد والتنكيل. ولانهم «نسطوريون» اجمالاً رفض اولئك المسيحيون العرب الالتحاق بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية ما عرضهم الى ذلك العقاب احياناً الامر الذي حوّل القطيعة الى طلاق نهائي.

وتدل الوقائع التاريخية المتوفرة، على ندرتها، ان الديانة اليهودية استطاعت لفترة من الزمن ان تستفيد بشكل ملموس من ذلك الفراغ الديني الحاصل. يؤكد ذلك توسع انتشارها الى درجة التمكن من تأسيس عدة ممالك يهودية في جوب الجزيرة العربية وفي اليمن خاصة. لكن لوهلة قصيرة جداً من الزمن. اذ ان تلك الممالك ما لبثت ان اضمحلت منذ ٥١٠ بفعل عزلتها الجغرافية ومحدودية انفتاحها على غير اليهود، قبل ان تزول من الوجود نهائياً في ٥٢٥ اثر اندحارها امام حملة عسكرية كبيرة ارسلتها ملوك الحبشة المسيحية التابعة لامبراطورية الرومان لكن هذه القوة المسيحية المنتصرة سرعان ما اندحرت هي كذلك امام مقاومة القبائل العربية في تلك اللحظة نفسها التي اعتقدت فيها الكنيسة ان الفرصة مؤاتية لإعادة نشر ديانتها على الجزيرة وسكانها.

بعد كل هذه الاخفاقات، ربما نستطيع ان نفهم اكثر السبب في ان جزيرة العرب لم تعد تشكل إغراء يستحق العناء في نظر الكنيسة. يضاف الى هذا الواقع ان الامبراطورية الرومانية، والبابوية تالياً، كانتا في غمرة نشوة سلسلة انتصاراتهما الكبيرة على الدولة الساسانية التي حققتها جوستنيان. والتي سمحت لهما بانتزاع مناطق شاسعة وغنية بالثروات،ألغت الاهمية الاستراتيجية الضئيلة التي كانت تمتلكها جزيرة العرب، لاسيما بعد نجاح الرومان في كسب ولاء ملوك الهند وإخضاع معظم الدويلات الجرمانية في الشمال وتحويل البحر الابيض المتوسط الى بحيرة مسيحية رومانية لا يهددها شيء بينما يتمركز فيها كل ما هو حيّ ومشتهى في العالم القديم.

بعد كل ما تقدم، نستطيع ان نفهم الآن لماذا شعرت الكنيسة المسيحية بالدهشة امام سرعة وسعة الفتوحات الاسلامية وبالعجز التام عن الصمود بوجهها في الشرق. ويعبر جلياً عن حقيقة تلك الدهشة ذهاب المفكر المسيحي والغربي عموماً الى نعت سرعة تلك الفتوحات بـ«المعجزة». اذ لا شيء كان يعلن آنذاك ان بناء عدة قرون من الحضارة المسيحية المتوسطة هو الآن في طريقه الى الدمار او الانهيار المفاجئ على يد قوة تخرج من جزيرة العرب، بل لا احد يتخيل ذلك قطعاً. كما لا شيء ينذر بأن القوة الرومانية العظيمة ستعرض للهزيمة والكارثة في تلك اللحظة تحديداً من مجدها العسكري الزاهي حيث كانت أساطيلها تمخر عباب المتوسط من ايجة الى مصر وشمال افريقيا ومن سوريا الى ايطاليا وفرنسا واسبانيا فارضة سيادتها المطلقة على كل حركة فيها. كما كان حكم الرومان وحدهم من تعترف به الكنيسة ملكاً على الدنيا.

صفوة القول اذن، ان ظهور الاسلام هو العامل الحاسم في تقهقر المسيحية وتدمير عالمها المزدهر السابق. بل وهو العامل الجوهري الذي زجها في متاهات القرون الوسطية المعتمة. وهذا على أية حال ما يراه عدد من كبار المفكرين الغربيين أنفسهم مثل مهنري بيرين الذي لخص رأيه في هذا الصدد بجملة: «لولا محمد لما ولد شارلمان».

بكلمة أخرى، ان الإسلام بقضائه على الامبراطورية الرومانية المسيحية، المتوسطية كلياً قبلئذ، احدث جملة من التغيرات العميقة في خارطة ما يعرف بـ«العالم القديم»، اهمها اثنان رئيسيان: يتمثل الأول في أحداث قطيعة حاسمة وشاملة بين الشرق والغرب، انهت وجود ذلك العالم القديم المتوحد حول الابيض المتوسط، بانشطاره فعلياً الى عالمين اثنين، مسيحي واسلامي، يفصل بينهما الابيض المتوسط نفسه فصلاً حاداً، عالمان متضادان في كل شيء ومتصارعان في كل المجالات.

ففي الواقع، ومهما صدقت المبالغة بحجم الانتصارات التي حققها شارلمان ضد المسلمين، ان تلك الانتصارات ظلت مقتصرة على البر الاوروبي وحده، وعلى جزء منه فقط اذا توخينا الدقة، نظراً لأنها لم تمتد ادنى امتداد الى المناطق الاخرى، من العالم المسيحي، التي فتحها العرب المسلمون. إنما على العكس شهدت هذه المناطق، لاسيما جنوب وشرق المتوسط، نجاح المسلمين في تثبيت وتجذير وجودهم فيها لا العسكري والسياسي حسب بل الديني واللغوي والثقافي ايضا،ما أدى الى انبثاق عالم حضاري جديد لا علاقة استمرارية له مع الحضارة المتوسطية السابقة على الرغم من انتهاله او استلهامه كثيراً من معطياتها في شتى الميادين بحرية كاملة.

أما التغيير الرئيسي الآخر، فيتجسد في توفير الضرورة الموضوعية التي دفعت الكنيسة الرومانية الى اللجوء ثم التطابق التام مع القبائل الجرمانية، الوثنية سابقاً، متماهية معها في عالم مسيحي جديد هو الآخر، عالم غربي محض، دخل من جانبه في مرحلة تطور حضاري مغاير تماماً لذلك التطور الذي كانت الحضارة المسيحية السابقة قد عرفته لحد ذلك الوقت، يبدأ مع مطلع القرون الوسطى وينتهي بنهايتها،أي بانبثاق أوروبا الحديثة العلمانية والاتوسطية جوهرياً.

لقد كان العرض الذي تقدم ضرورياً جداً برأينا، في التمهيد لفهم ماهية الدور الاستثنائي الذي لعبه فلاسفة الانوار في إغناء المنظور الغربي حول الاسلام وظواهره المختلفة. فهذه الحركة التي استحوذ عليها هاجس تصفية الحساب بالكامل مع مفاهيم القرون الوسطية، كان لا مفر أمامها من الاصطدام بالتركة الفكرية الثقيلة المتجسمة في التصورات المسيحية حول الإسلام والتي امتلكت، وحدها ربما، تاريخياً معقداً من التطور يوازي الى حد مثير تاريخ الحضارة المسيحية الوسيطة ذاتها منذ مطلعه حتى لحظته الختامية. فعلى الرغم من ان الامبراطورية العربية الاسلامية الكلاسيكية كانت قد انهارت منذ زمن طويل قبل العصر الحديث، ظل الفكر المسيحي الوسيط يواظب بحيوية مدهشة على تفعيل تصوراته التقليدية عن الاسلام مأخوذاً هذه المرة كـ«اتراك» وكامبراطورية عثمانية دون اعتبار بالمقابل لحقيقة ان تلك الامبراطورية نقلت هوية الثقافة والسياسية فيها من عربية الى تركية وقلبت المعطيات الحضارية رأساً، بيد ان ذلك المنظور التقليدي لم يمكث على ما كان عليه في المرحلة الاولى من تطوره. انما عرف جملة من التحولات العميقة في خضم سيرورتها مادة هائلة، كمّاً ونوعاً، من العناصر الجديدة اللاهوتية والفكرية وحتى السايكولوجية لم تترك مجالاً يفلت منها رغم انها، وتماماً ككرة الثلج، لم تفارق جوهرها الفعلي الاول أبداً حتى مجيء عصر الانوار. من ناحية اخرى وكما هو الحال في مجال كهذا، تبدو هذه المادة الهائلة أشبه بخزين من الحجج والمواقف، الدينية والعقلية وحتى اللاعقلية، جاهز للتوظيف على الفور ليس ضد الاسلام وحده، كما كان الامر حتى نهاية الحملات الصليبية، بل وضد غيره ايضا من الاديان الاجنبية او من التيارات والفرق والنخب «المنحرفة» او «المتمردة» او «المخالفة» لكن المسيحية دائماً. فأثناء الحروب الدينية الأوروبية، كانت الكاثوليكية والبروتستانتية تتراشقان الإدانة فيما بينهما وكل يستخدم ذات الحجج التي كان الفكر المسيحي قد بلورها حيال الاسلام فيما مضى. والاكثر من ذلك هناك، بين زعماء وأساقفة الكنيسة الكاثوليكي، من ذهب الى حد اتهام البروتستانتية المسيحية بأنها مجرد... فرقة اسلامية. النموذج الصارخ في هذا المجال قيام البندكتي الانجليزي وليم رينولدز، استاذ اللاهوت في جامعة رانس، بتأليف كتاب في عام ١٦٠٠ تألف من ١١٠٦ صفحات لإثبات انتساب البروتستانتية الى "الديانة المحمدية"!(١)

ولعل التوظيف الاخير لتلك المادة كان سبباً مباشراً في اندفاع عدد من فلاسفة الانوار في نقد ورفض تلك التركة الفكرية الضخمة التي وجدوا انفسهم يصطدمون بها في خضم صراعهم مع الكنيسة لاسيما وانها تتضارب مع معرفتهم المتنامية حول الاسلام. وانها لحقيقة معروفة ان معظم كبار مفكري الانوار ولدوا ونشأوا في عالم الثقافة البروتستانتية وتشبعوا بالكثير من المفاهيم الاخلاقية والسياسية والدينية التي نادت بها الى درجة تسمح لنا بالقول انه لولا ظهور البروتستانتية لما ظهرت «فلسفة الانوار» على الرغم من تضادهما العنيف في بعض المجالات وعلى الرغم من النقد الجذري الذي وجهته حركة الانوار ضد الدين المسيحي عموماً في مجرى حملات ممثليها على الارث الفكري والسياسي الوسيط.

ومهما يكن الامر، لقد احدثت حركة الانوار ومثلت انقلاباً كبيراً على عالم من الافكار حول الاسلام كان صلباً ومهماً في كل الغرب قبلئذ. وعالم الافكار هذا تأسس بدءاً، على شعور الكنيسة المسيحية بفاجعة فقدان عالمها المتوسطي واضطرارها الى اللجوء الى «زاوية من الارض» كما يقول هيغل، مقطوعة بغتة وقسرا عن تاريخها وعن اصولها واماكنها المقدسة في فلسطين. ومذهولة بصدمتها الرهيبة تلك، لم تكن النخبة المثقفة المسيحية، اللاهوتية حصراً آنذاك، ان تمتلك القدرة ولا الوعي ولا المزاج ولا الجرأة ربما، التي تسمح لنا بتأمل هادئ وعميق للأزمة التي حلت بالعالم المسيحي بسبب ظهور الاسلام، تستطيع من خلاله العثور على تفسير يأخذ بنظر الاعتبار الظروف التاريخية الخاصة بها والاسباب الموضوعية في حصولها. ومن هنا يتأتى اقتصارها آنئذ على اطلاق سيل من الإدانات ضد الإسلام خلاصتها اعتبار هذا الدين بدعة خبيثة، وهرطقة من صنع الشيطان اوحى بها لعربي من قريش هدفها القضاء على المسيحية باعتبارها الدين الالهي الحق. وقد عبر هذا التصور عن نفسه بإطلاق مفهوم «المسيح المضاد Anthicrist» المطور سلفاً في اللاهوت المسيحي ضد العتاة من اعدائه. ففي المرحلة الاولى كانت الادانة والرفض هما موقف اللاهوتيين المسيحيين الجوهري من الاسلام الذي صار بنظرهم رمزاً للقضايا الكاذبة ورديفا للزيف الى درجة انهم كانوا اذا ارادوا بطلان رأي ما، يقولون «هذا رأي محمدي»!.

اما تفسير كيف تسمح الارادة الالهية بحلول هذا «الدين» «الشيطاني» في العالم الدنيوي، فسيأتي لاحقاً حيث سيعتبر الإسلام بمثابة غضب إلهي على المسيحيين عقاباً على ابتعادهم عن الكنيسة. فهذا التصور نجده قد استخدم بشكل واسع في الجدل الحاد والإدانات المتبادلة بين الكنيسة البيزنطية والكنيسة الرومانية، بعد اعتراف هذه الزعامة السياسية المطلقة لشارمان على المسيحيين، وكل منهما تجعل الاخرى سبباً للغضب الإلهي المشار اليه. كما استخدمه لوثر مراراً ضد البابا حيث يرى ان ظهور الاسلام هو «عقاب من الله ضد أخطاء الكنيسة».

بالطبع، كما يرى المؤرخ اللبناني يواكيم مبارك، في تاريخ العلاقات المسيحية- الاسلامية، «ليس هناك حكم لاهوتي حول الاسلام لا يكون هو ايضاً، متأثراً بأحوال تاريخية محددة». بيد ان هذا الاستنتاج يصدق على تطور المفهوم المسيحي حول الاسلام ككل بالقدر الذي ظل مؤسساً على ايمان لاهوتي مسبق تعبر عنه مقولة منسوبة الى المسيح نفسه تنص على «ان جميع الانبياء كانوا أنبياء حتى مجيئي. الا انه لا نبي من بعدي أبداً"!.

هذا اليقين اللاهوتي المسيحي قاد أسقفاً سورياً هو يوحنا الدمشقي (٦٥٥-٧٤٩) ليكون اول مفكر مسيحي رأى في الاسلام نوعاً من «الهرطقة» ضد بالمسيحية، اذ اثبت فعلاً ان موليفه الموسوم بـ «الهرطقة Haeresibus» الذي كرسه للاسلام موثوق النسب له. وعلى أية حال، فإن هذه التبسيطة ظلت سائدة حتى منتصف القرن الثاني عشر كمحور وحيد للمنظور المسيحي حول الاسلام، فعلى الرغم من ان هذا المنظور سجل تطوراً ملموساً في الاطاحة بالمعتقدات الاسلامية الرئيسية والاعتراف ضمناً بأهمية واصالة المعطيات الفلسفية والفنية والعلمية والحضارية الاخرى كعناصر اساسية في تاريخ العقل الانساني، الا ان الصورة الشعبية واللاهوتية لنبي الاسلام ظلت صورة «ساحر» و«نبي زائف» بينما بدا المسلمون مجرد شعب وثني جاهل كما جاء لدى مؤلف كتاب «اغنية رولاند» المكرس لتمجيد شارلمان. لكن النسف الاخير من القرن الثاني عشر شهد ولادة اول منظور رسمي متطور نسبياً يتناول الاسلام كحالة روحية قائمة بذاتها ومتميزة في التاريخ العام للظاهرة الدينية وليس كمجرد هرطقة من وحي الشيطان. ويعود الفضل في المبادرة في ذلك الى المفكر اللاهوتي المسيحي بطرس الجليل Petrus Venerabilis رئيس «دير كلوني». فبعد طلب تقدم به الى الكنيسة الرومانية يقترح فيه موافقتها على ترجمة القرآن الى اللاتينية بهدف تطوير اساليب دحضه وتفنيده وجعل فحواه في متناول من يريد محاججة المسلمين ونشر المسيحية بينهم، استجابت الزعامة الدينية على مضض لذلك الطلب ما سمح بوجود اول ترجمة للقرآن في الغرب وذلك في ١١٤٣. (تم طبعها في ١٥٤٣ بفضل اللاهوتي السويسري تيودور بيلياندر Th. Bebliander، ضمن حملة بروتستانية واسعة لدحض الاسلام).

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
٣. لا تزيد المادة على ٧٠٠ كلمة.

ideas@almadapaper.net